الرأس

جودت فخر الدين

أيها الرأس،
ألا تكسرك الحمّى؟
ألا تثقبكَ الأصداء، يستنبح بعضٌ بعضها الآخر؟
ما زلْتَ تدوّي فارغاً؟
خاويةٌ ساحاتك الخرقاءُ
حيث اشتبكت بالاغنياتِ النائحاتِ
الخطب العجلى، وأصوات السّكارى
كيف لا تخمدك الغوغاء؟
ما زلت تدوّي،
وإذا ما ساورتْكَ الفكرة الحمقى،
تشامختَ،
حثثتَ الأنف
ألقيت بأثقالك فوق العنق المكسورِ،
خفّفْ كيدك المسعور،
ما زلْتَ تحوك النظرة العمياء،
تلقي أذناً مثقوبةً، للصرخة المخنوقة في ليل العواء،
انتفختْ أوداجك الحرّى، فقاقيع من الحيرة،
أوداجكَ صحوٌ ناشف،
لم تعتصرْ منها سوى هذا الطنين الدائري،
انكمشتْ كل النبوءات وما زلت تدور،
انطفأت في لبّك الآفاق، عرقاً اثر عرقٍ،
أيها الرأس الثقيل، انهزمتْ ساحاتُك الخرقاءُ،
مات العصف،
فاجمعْ من كوى الذاكرة الثرّةِ أعقاب الظنونْ
علّك استوقدْتَ ناراً للجنونْ.

٢

أيها الرأس، الذي حاسّته المسُّ
جرتْ منها الحواسُّ الخمس أو أكثر،
أنت النهر،
نهر الانتباه الفظّ
هل تبصر، أو تسمعُ،
إلا حجراً يسقط في قاع الأبدْ.
أيها الشامخ،
يَا نهراً جرتْ منه الحواسُّ الخمس، أو أكثر،
طأطِئْ عند لألاء الجسدْ.

٣

أيها الرأس،
ألمْ تحفظْ عهود الكلماتِ المثخناتِ
التطمتْ عبر ثناياك وسالتْ غصصاً؟
كنت رنيناً، وقّعتْه كلماتٌ،
أفصحتْ من بعدُ،
رجّتْ،
وتهاوتْ، بالفم الملآن، عقْباً يابساً،
ما أعْقبتْ إلا جفاف الحلْقِ،
دعْها، تنتظمْ من صرخةٍ خرساءَ
دعْها، تختنقْ
هل كنتَ إلا طَبْلها الأجوفَ،
ماذا لو تنكّرْتَ لتلك الحشرجاتْ؟
لو تناسيْتَ عهودَ الكلماتْ؟

٤

أيها الرأس،
متى يصمتُ هذا الهذرُ؟
كُفَّ الآن
هدّئْ بالك المنهكَ
وانظرْ مثلما ينظرُ مخمورٌ عتيقٌ
وتغافلْ.
لا تصدّقْ أُفُقاً صدّعه البرقُ
ولا تقنعْ بشيءٍ،
كلُّ ما حولك مكسورٌ،
ويخفى،
لن ترى إلا ظلالاً
هرولت أثر ظلالٍ، لن تراها،
ما الذي عاودك الآن؟
دعِ الأصداء، يستنبح بعضٌ بعضها الآخر،
سرِّحْ طَرْفك الواهي،
وحدّقْ في السماواتِ اللواتي تنحسِرْ.

٥

أيها الرأسُ، انكسِرْ.